بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن مكتب تونس الحرة الذى يقدم اليوم للشرق العربى ولعالم الإسلامى ولكل من يهمه الاطلاع على قضية أمة تخوض معركة الحرية للحصول على الخلاص هذه المجموعة من الوثائق التى تصور المغرب الإسلامى على حقيقته وتوضح قضاياه ومختلف وجهات النظر فيها ليكون الناس على بينة وليحكموا حكما صادقا على الأشخاص والمنظمات والاتجاهات السياسية التى تسير فيها تلك القضايا وموقف كل منها إزاء الخطط الاستعمارية التى يضعها الفرنسيون للقضاء على ذاتية الأمة ومميزاتها ليسهل ابتلاعها وإدماجها فى الوحدة الفرنسية ولتصبح جزءاً من فرنسا يطلقون عليه اليوم وقد توهموا أنه تم وحصل « فرنسا ما وراء البحار » .

فهذا المغرب الإسلامى الذى يمتد من حدود مصر الغربية إلى شواطىء المحيط الاطلنطيكى والذى يسكنه أكثر من ثلاثين مليونا من العرب المسلمين هو المنطقة التى ركزت فيها فرنسا جهودها الاستعمارية لتقطعها من جسم الشرق والعروبة والإسلام وتضمها إلى أوربا فتكون بذلك المرحلة الثانية بعد التى كونتها اسبانيا فى الأندلس . هذه المنطقة هى اليوم موطن الصراع العنيف وميدان النزاع بين أوربا والإسلام . ويجب أن تتكافأ قوتا الكفاح . ففرنسا ومن ورائها أوربا كلها وأمريكا تدعم كفاحها من أجل تحقيق غايتها فى القضاء على هذا الجزء من العالم

الإسلامى . ومسلمو المغرب يتلمسون العون والتأييد من إخوانهم فى الشرق ليبقوا هذه الناحية من عالم العروبة والإسلام كما هى وكما خلقها الله .

وإن وضعية « مكتب تونس الحرة » الذى كان منذ نشأته ولا يزال بحمد الله مستقلا بعيداً عن الانقياد للاهواء الحزبية والتأثيرات الشخصية هى التى تخوله عرض القضايا والاتجاهات التى تسير فيها وتأثيرات الشخصيات والحزبيات عليها وما أكسبها ذلك من فساد أو صلاح ومن إخفاق ونجاح استناداً على وثائق ثابتة وحجج دامغة ومثل من الواقع لا تقبل التأويل . فكما أن قضية المغرب قد أخرجت من النطاق المحلى الضيق الذى نتصارع فيه نحن وفرنسا وجهاً لوجه إلى الميدان الدولى الفسيح الذى تشترك معنا فيه الدول بمنظماتها فى نظر هذا الخلاف الذى احتدم بيننا وبين فرنسا . كذلك تخرج قضية المغرب من كونها خاضعة لشخصيات وأحزاب معينة فى الداخل إلى ميدان أفسح هو ميدان هذا الشرق الذى تطلب تأييده وتتلمس إعانته . فقد لزم أن ينظر معنا قضايانا وأن يدلى برأيه فيها الذى يقيم عليه دعائم تأييده وإعانته لنا . ونحن بدافع هذا نريد أن نضع أمامه قضية المغرب على حقيقتها وكما هى لا كما يريدها المحتكرون للسياسة المغربية والذين يريدون منها قبل كل شىء تدعيم نفوذهم الشخصى وأنانيتهم الحزبية فلا يطلعون الشرق من قضية المغرب إلا على وجهة نظرهم ولا يتركونه يردد إلا أقوالهم وتصريحاتهم ولا يفسحون له المجال لينظر القضية كاملة بل يضغطون عليه ليرى ناحية واحدة منها هى ناحيتهم . فيكون بطبيعة الحال حكمه وتأييده ناقصاً غير كامل وأعرج لا يتمكن به من الإدلاء برأى سديد . وهذا ما رأيناه بارزاً فى الفترة الواقعة بين جمع الجامعة العربية لقضايا المغرب فى ملف واحد ومحاولتها تقديمها لهيئة الأمم كقضية واحدة وبين الفترة التى انسلخ

فيها حزب تونسى هو حزب الدستور الجديد الذى يتزعمه — الأستاذ الحبيب بورقيبة عن تلك الخطة واتجه اتجاها معاكساً لها بأن رضى أن يعرض عن الجامعة العربية وسياستها وما تهدف إليه وأن يخرج القضية التونسية من وحدة قضايا المغرب ويجعلها قضية مستقلة يتجه فى حلها إلى التفاهم مع الفرنسيين رأساً والتفاوض معهم فى قبول سياسة المراحل بدلا من سياسة الاستقلال الناجز التام . وهذا تجاوبا منه لما تهدف إليه السياسة الاستعمارية الفرنسية وتحويل أنظار التونسيين عن الشرق إلى الغرب وإرجاع قضيتهم إلى النطاق المحلى الضيق تحقيقا لرغبة المستعمرين الفرنسيين الذين يقولون إن الخلاف بين تونس وفرنسا هو خلاف محلى وخاص لا ينبغى لأحد التدخل فيه باعتباره من شئون فرنسا الداخلية .

ففى هذه الفترة لم يكن الشرق يسمح ولا يرى فى القضية التونسية إلا وجهة نظر واحدة تمالأت كل العناصر على جعلها هى السائدة فى الميدان . ذلك لأن المشروع الذى تحمله وهو التفاهم بين التونسيين الفرنسيين — قبول اصلاحات بدلا من الاستقلال التام — جعل الاستقلال الذاتى مع بقاء الاحتلال الفرنسى فى تونس طبعا هو الهدف بدلا من الاستقلال التام الذى يصحبه الجلاء . هذا المشروع هو فى الحقيقة «مشروع أنجلو أمريكى» دسته دول الجبهة الديمقراطية لترضى به الطرفين تمكن فرنسا من بقاء احتلالها فى تونس وتستعرض التونسيين باصلاحات وتعلق آمالهم بما تسميه « المراحل » . فكنا نشاهد فى هذه الفترة أمراً مضحكا مبكياً وهو أن كل الذين تقدموا للدفاع عن قضية تونس لدى هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها وحتى جامعة الدول العربية كانت تتقدم بهذا المشروع — مفاوضات لتحقيق الاستقلال الذاتى — على مراحل

ولا يوجد من تقدم بمشروع الاستقلال التام مع حفظ مصالح الجانبين بمعاهدات متعادلة حرة . هذا المشروع الذى يعبر عن فكرة الأمة التونسية ويتناسق مع ميثاق هيئة الأمم وحق الشعوب فى تقرير مصيرها . ولكنه لم يجد تأييداً لأنه لا يحقق رغبات الاستعمار القديم ولا الاستعمار الحديث وبقى فى طى المجهول لا يعرفه إلا القليلون لأن الدعاية المعارضة دفنته وأهالت عليه التراب .

وقد سارت فكرة الاصلاحات والمفاوضات والاستقلال الذاتى ووراثها هذا الضجيج من مواكب الدعاية المختلفة الأهداف والأغراض ومرت أمام الشعوب والحكومات فى أوطانهم وفى منظمة الأمم وفروعها وفى الصحافة العالمية . ولكنها اصطدمت بتحجر العقلية الفرنسية فلم ترض فرنسا حتى بذلك القليل التافه الذى أوعز به إليها أصدقاؤها من الإنجليز والأمريكان لكى تسوى به مشاكلها المعقدة فى تونس وبلاد شمال أفريقيا . الخطوط الأولية للحرب المقبلة التى أقل ما يجب أن تكون عليه هو الهدوء والاطمئنان . فرفضت فرنسا قبول كل العروض وبارحت الجلسة التى وقع الخوض فيها بمنظمة الأمم فى قضيتى تونس ومراكش . وأعرضت حتى عن المشروع البرازيلى التافه الهزيل . وعند هذا الحد وقفت القضية .

ولقد اتضح من جلسات هيئة الأمم موقف كل دولة من قضية تونس والمغرب واتضح موقف أمريكا بالخصوص التى تسيطر على هذه الهيئة وموقف فرنسا لم يتغير بالرغم من اشتعال نار الثورة فى تونس وتكاثر الضحايا بتأثير عمليات الإرهاب التى يقوم بها الجيش الفرنسى وعصابات المدنيين من الفرنسيين . وبالرغم من وقوع حوادث تنذر بالخطر على الأمن فى

المغرب الأقصى فإن فرنسا مصرة على حل مشاكلها بالحديد والنار .

فهل تستمر تونس تحت هذه الموجة الطاغية من الفتك بأموال التونسيين وأرواحهم وتعـــذيب المعتقلين منهم تعذيبا وحشيا دون أن يتلقى المنكوبون إعانة والمعتقلون تخفيفا مما يلقونه والمناضلون ما يرفع معنويتهم على الدفاع عن أنفسهم وأموالهم وحرماتهم التي كانت منذ أكثر من سنة ولا زالت عرضة لحركة القمع الفرنسي .

هل تبقى تونس على هذه الحال بعد أن تقرر من مصيرها في منظمة الأمم ما تقرر وبعد أن تغير موقف جلالة الملك عاما كاملا إزاء الضغط الفرنسي ثم أخضعه تزايد الضغط وخذلان منظمة الأمم لقضية بلاده . وموقف الشرق منها .

هل تبقى تونس تسير في نفس الخطة وتسير قضيتها على نفس المنهاج تنتظر اجتماعات منظمة الأمم وفروعها وتستجدي أصوات الدول التي تسير في فلك أمريكا ولا يمكن أن تتخطى مركز الجاذبية فيها قيد أنملة .

لقد كان كل صوت يرتفع ليلقى أضواء كاشفة من ناحية أخرى على الموضوع يسمى خلافا وافساداً وتعطيلا لسير الحركة .

أما اليوم ونحن على مفترق الطرق وفي شبهة راحة لاستئناف السير وجب أن نلقي بآراءنا إلى الآراء الآخرى فيما تعالج به قضيتنا على تجارب الماضي وأن نخرج بها من هذا المضيق الخانق وأن نجعلها قضـية عامة كسائر القضايا لـكل مواطن أن يدلي برأيه فيها ولـكل عربي ومسلم وشرقي يرى فيها مشكلة من مشاكله وقضية من قضاياه .

ونسأل الله الإخلاص فيما نعمل والهداية والتوفيق .